الدنيا على اثر انا لله وانا اليه راجعون • فصل واعلم انه قد غلب على كثير من الخواص والعوام
من مجاوري مكة الاعراض والطواف وعن ذكر الله تعالى من التلاوة والدعاء بسبب اشتغالهم
بالحديث في امر الدنيا وتحصيلها وغير ذلك مما لا فائدة فيه وربما كان حديثهم في محرم كغيبة ونميمة
وشاهدنا من طاف اسبوعا بل اسابيع وهو يتحدث ويضحك وربما يرفع صوته بالضحك وهو خطاء
عظيم وغفلة كبيرة وسوء الادب ومن تلبس بذلك فقد تلبس بما يمقت عليه خصوصا اذا
صدر ممن ينتسب الى العلم والدين فاذا انكر على من دونه احتج به فصار فتنة لكل مفتون ومن
آثر محادثة المخلوق في امر الدنيا والاقبال عليه والاصغاء بحديثه على خالقه وعلى ما هو متلبس به
من عبادته خصوصا في مثل ذلك المحل فهو عين المرائي لان طوافه بجسده وقلبه ساه وقد غلب عليه
الخوض فيما لا يعنيه حتى استرسل في عبادته كذلك فهو الى الخسران اقرب منه الى الربح ومثله خليق
ان يشكو منه بيت الله تعالى الى الله تعالى والى جبرئيل عليه السلام والملائكة تتاذى به وعن وهيب ابن الورد
رح قال كنت في الحجر تحت الميزاب بعد العشاء الاخرة فسمعت تحت الاستار الى الله اشكو واليك يا جبرئيل
مما القى من الناس من التفكه حولي من الكلام ولغطهم ولهوهم قال وهيب فاولت ان البيت يشكو الى
ربه والى جبرئيل وعن علي بن الموفق رح يخبر عن نفسه انه رقد تحت الحجر فسمع البيت يقول لئن لم ينته
الطائفون حولي عن معاصي الله تعالى لاصرخن صرخة ارجع الى المكان الذي جئت منه وفي رواية
ابن وهيب لئن لم ينته الطائفون عن ذلك لانتفضن انتفاضة يرجع كل حجر الى الجبل الذي قطع
منه فليحترز الطائفون ومن حوله من سكانه من تشكي البيت الشريف الى ربه لان لهذا البيت
عقلا وحياة لا على وضع حياة الروح الحيواني السرياني بل على وضع الحياة الرحماني وله عينان ها
يبصر بهما ولسان وشفتان يتكلم به هكذا ورد في الاخبار ومن كان ساكنا حول البيت او طائفا به
ولم يحترز عن الاقوال القبيحة والافعال الشنيعة فهو داخل في قوله تعالى مستكبرين به سامرا
تهجرون فقد شبه نفسه بكفار مكة فانهم كانوا يقعدون حول البيت ويطوفون به وهم يغتابون
المسلمين ويسبونهم ويشتمونهم فانزل الله تعالى هذه الاية في حقهم والاعتبار بعموم اللفظ
لا بخصوص السبب فينبغي للطائف ان يطوف بقالبه وقلبه ويستشعر في نفسه عظمة من يطوف
بيته فيطوف بالادب والخشوع ويكون في طوافه مقبلا على الله تعالى بباطنه وظاهره وذاكرا

بلسانه

بلسانه وضمائره مبتذلا في حاله متواضعا في سمته ومشيه ويطلب بذلك فضلا من ربه ويترك
الاشتغال هناك بكل ما سواه ان دعا فبحضور فهم وان سكت فهو يتفكر فيما يقربه الى الله تعالى فتامل
وان قبل الحجر الاسود فبهيبة الله تعالى وحذر وبكاء وان تكلم للناس فهو امر بالمعروف او نهي عن المنكر
فمن كان بهذا الوصف يرجى له ان يكون ممن اخبر عليه السلام ان الرحمة تغمره وان الدرجات تعمر
ترفع له وان الملائكة تتباهى به واما من طاف بقالبه دون قلبه واعرض عن الله تعالى باقبال الحديث
في تلك الحضرة على اخوانه وصحبه واشتغل بالدنيا واستقبل الفكر فيها عن التفكر في معنى ما هو
متلبس به وقد غلب لسانه وقلبه على الخوض فيما لا يعنيه واشتغل جوارحه به فهذا الى الخسران
اقرب منه الى الارباح ومقت الله تعالى وسخطه اجدر من غفرانه فيكتب طوافه ذنوبا وجبت عليه
التوبة منه وتنقلب طاعته معصية وقد ضج البيت منه الى ربه وشكى وتاذت به الملائكة و
الاولياء بما اتى به نسال الله تعالى العافية وذهب ابو يوسف ومحمد والشافعي واحمد بن حنبل رح الى
استحباب المجاورة بمكة وفي الملتقط والمبسوط في باب الاعتكاف انه لا باس بالمجاورة في قولهما
وانه الافضل قال وعليه عمل الناس وحكى القاسمي في منسكه عن المبسوط ان الفتوى على قولهما لان
الطاعات التي تحصل فيها لا يحصل في غيرها وروي عنه عليه السلام انه قال من صبر على حر مكة
ولو ساعة واحدة من نهار تباعدت النار عنه مسيرة مائة عام وكل عبادة بمائة الف في الحرم
واجاب القائلون بالاستحباب عما ذهب ابو حنيفة اليه بانه ما يخاف من ذنب فيقابل بما يرجى من حسن
من تضعيف الثواب والحاصل ان علة كراهة من كره المجاورة من العلماء ليس الا مراعاة ضعف
الخلق والخوف من قصورهم من القيام بحق الموضع فمن امكنه الاحتراز عن ذلك وقدر على الوفاء
بحقه وتعظيمه على وجه تبقى معه حرمة البيت وجلالته ومهابته في عينيه كما دخل مكة
فالمقام بها حينئذ هو الفوز العظيم فان لم يكن على هذه الصفات فالمجاورة مكروهة بالاتفاق
وقد اسمعتك احوال المجاورين بمكة في هذا الزمان ان اكثرهم ليسوا على هذه الصفة ولنختم
الباب ببيان بعض فضيلة الصلوة في المسجد الحرام قال عليه السلام صلوة في مسجدي هذا
افضل من الف صلوة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام وصلوة في المسجد الحرام افضل
من مائة الف صلوة فيما سواه فيقاس بعض العبادات على بعض فيكون كل حسنة بمكة بمائة

Copyright © King Saud University